

قراءات في الهبة الفلسطينية

هذا الملف محاولة للتفكير في المنعطف الذي دخلته فلسطين مع الهبة الشعبية التي انطلقت من القدس، وامتدت إلى الخليل وإلى بقية أنحاء الضفة المحتلة. شبان فلسطين وشاباتها الذين يستشهدون بصمت، يرسمون اليوم أفقاً جديداً غامض الملامح، في مرحلة بالغة التعقيد يمرّ بها المشرق العربي.

فلسطين وحيدة اليوم كما لم تكن، وقضيتها مهددة بالاندثار. إسرائيل التي أعلنت بشكل واضح رفضها الانسحاب من الأراضي المحتلة، وإيغالها في التوحش الاستيطاني، وذهابها في الخيار القومي الديني إلى أقصاه، قامت عملياً بإنهاء اتفاق أوسلو، ودفنت فكرة حلّ الدولتين، معلنة بداية تأسيس نظام تمييز عنصري بلا أقنعة. في مواجهة الانسداد السياسي وهمجية الاستيطان، جاءت الهبة الشعبية لتقدم ملامح بدايات الجواب على الانسداد الشامل والإحباط اليأس الذي يهيمن على فلسطين. وهو جواب لا يزال في بدايات تفتّحه الغامضة.

المسألة المؤرقة لا تكمن في عجز القوى السياسية السائدة عن تقديم جواب على تحديات الواقع المنقلب، إذ من الواضح أن رؤى القوى المهيمنة وبرامجها وممارساتها صارت من الماضي، وأن الانحدار الذي وصل إليه المشروع القديم بلغ قعره. المسألة المؤرقة هي أن الهبة الفلسطينية تجد نفسها بلا فكرة تواكبها، وهذه مسؤولية المناضلين والمقاومين والمتقنين.

هذا الملف محاولة أولى للتفكير وطرح الأسئلة والمبادرة إلى بلورة صمت المناضلين المدوي، إلى بدايات لغة جديدة، وإلى تجديد جذري لفكرة فلسطين.

الهبة الفلسطينية تقول إن المقاومة لن تتوقف، فالمقاومة قبل أن تكون مشروعاً سياسياً هي مشروع بقاء. شرط البقاء هو مقاومة الموت الزاحف الذي ينتشر كتعبير عن هوس الاحتلال بأسطوره، وإصراره على استكمال المسار النكبي بنكبة جديدة. الهبة الفلسطينية تتحدى في الدرجة الأولى الثقافة والفكر السياسي في فلسطين والمشرق العربي، ولم يعد هناك من مبرر للكسل أو الخوف.

فكرة فلسطين أكبر من جميع البنى السلطوية التي تنهاوى اليوم. إنها قضية وجود الشعب في أرضه، وحقّه في الحياة.

الهبة ليست نهاية المطاف، إنها بداية أفق مقاوم، وهذا الملف الصغير هو دعوة إلى التفكير، وإلى استعادة العلاقة بين الفكر والممارسة.

فلسطين لا تتجدد بدماء أبنائها فقط، فالنضال يتحول إلى حبر وإلى أفق جديد فكرياً ونضالياً.

هذا هو التحدي.